

الاسم في اللغة العربية مقارنة صوتية

Le nom en langue arabe est une approche phonétique

نورية بويش¹*جامعة أحمد زبانة غليزان nouria.bouich@univ-mascara.dz

تاريخ النشر: 2022/06/05

تاريخ القبول: 2022/04/27

تاريخ الاستلام: 2021/08/08

ملخص:

لكل كائن علامة صوتية تطلق عليه عند وجوده لتخصيصه وتمييزه عن غيره، ويسمى ذلك المنطوق اسماً، حاولت التعامل معه تعاملًا صوتيًا في تشكيله وكلّ ما يتعلق به، صيغته وتركيبه، سأتعامل في هذه الورقة البحثية مع الذوات بتحليل مبانيها، من خلال تشكيلاتها الصوتية، فالاسم غير الفعل المجرد فهو ثلاثي ورباعي فقط عكس الاسم فنجد ثنائي ورباعي وخماسي وحتى سداسي، تتحكم في بنيته صيغ معينة وتشكيلات صوتية نتعامل معها في ثنايا هذه الورقة البحثية. كلمات مفتاحية: اسم، ذوات، صوت، علاقة صوتية، مباني.

Abstract:

Chaque objet a un signe phonétique qui l'appelle lorsqu'il existe afin de le personnaliser et de le distinguer des autres, et cet énoncé s'appelle un nom. J'ai essayé de le traiter phonétiquement dans sa formation et tout ce qui s'y rapporte, ses formules et composition. Le verbe abstrait est triple et quadrilatère seulement l'opposé du nom, nous le trouvons donc triple, quadruple, pentagonal, et même hexagonal, dont la structure est contrôlée par certaines formules et formations phonétiques que nous traitons dans les plis de cette recherche papier.

* المؤلف المرسل : نورية بويش

Mots-clés : nom, personnes, son, relation phonémique, bâtiments.

1. مقدمة:

اتَّفَقَ معظم اللغويين، على أنَّ أصل الصَّيْغة العربيَّة ثلاثي؛ حرف يبتدأ به، وحرف تحشى به الكلمة، وحرف يوقف عليه¹ ومن آراء المحدثين حول أبنية الأسماء أنَّ الأصل الثلاثي، هو النَّوْء الأساسية وإن وجدت آراء تخالف هذا الرَّأي؛ فإنَّ الأغلبية تجمع على ثلاثيَّة أصول المباني الإفرادية. مع اختلاف الآراء والتوجهات² وهذا الأصل للفعل والاسم معاً، لكن الحديث عن هذا الأصل يختلف عن في الفعل عن الاسم.

مع المفاهيم والمصطلحات:

بين الاسم والذات يتحدد المعنى الصيغة الذاتية هي التشكيلة الصوتية المعبرة عن كل ما يتعلق بالأسماء، مما سميناه الذوات. و الذات في المفهوم المعجمي هي (ما يصلح لأن يعلم ويخبر عنه)³ وينضوي تحت هذا المفهوم جميع الموجودات المادية و المعنوية التي ندركها بالحواس كالإنسان، والحيوان، والنبات، والجماد. أو بالعقل المجرد كالخير والجنة والجزاء وأضدادها.

ومفهوم الذات عند النحاة و علماء التصريف، هي ما علق على مسمى كطفل وقط وريحان. (والمقصود بالاسم المعين أسماء الذوات كرجل وكتاب وجبل وبيت وأرض وسماء)⁴ وهذا في مجال المدركات الحسية دون العقلية المجردة. وفي تعريف الاسم من حيث أصله وأصوله قالوا فيه: (اسم الشيء علامته... وهو مشتق من السمو ويعني الرفع. كما أن الاسم رسم و سمة توضع على الشيء ليعرف به. كما أن الاسم هو اللفظ الموضوع على الجوهر، أو العرض لفصل بعضه من بعض.)⁵ و هو أحد أقسام الكلمة الثلاثة وقسيماه الفعل والحرف .

وفي أصل التسمية، اختلف القدماء فالاسم عند الكوفيين (مشتق من الوسم وهو العلامة، لأن الوسم في اللغة العلامة، و الاسم وسم على مسمى، وذهب البصريون إلى أنه مشتق من السمو

وهو العلو، و الاسم يعلو على المسمى⁶ ولكل من الفريقين حجته، إلا أننا إذا رجحنا الجانب العملي الصوري كان الوسم أقرب باعتباره علامة على الكائن، وإذا رجحنا الجانب الفكري النظري كان السمو أقوى وأرجح لأن كل مسمى يسعى إلى تحقيق المكانة العالية في محيطه، وأن الذي يختار للمولود اسمه تلك هي رؤيته ومبتغاه من التسمية.

ومن نظرة أخرى يمكن القول إن ترجيح أحد الرأيين يقتضي أن ننظر إليه نظرة تاريخية، ففي بداية التحضر الإنساني كانت توضع للكائنات علامات تعرف بها، وكان لكل جماعة علامتها وخصائصها، وبعد أن تطورت الحياة الاجتماعية وتنوعت مجاري الحياة وحصل للفرد قوته اليومي ولباسه الواقى من الحر والبرد، تطلع إلى ما فوق الحياة اليومية وظهرت نزعة الحكم والتحكم، فانتقل الفكر البشري بتطولاته من مجرد التفكير في حاجاته اليومية إلى ما فوقها فظهرت أسماء تدل على ذلك منها: (قعقة وصعصعة) ومثلهما مما يبعث خوفا واضطرابا في المتلقي. والعرب تختار ما رق ولان من الأسماء للإناث وما غلظ وخشن للذكور، وقالوا للإناث لنا، والذكور لغيرنا أو على غيرنا.

1-تحليل الأوزان صوتيا :

1 أوزان الاسم الثلاثي:

لم يخصص اللغويون للدَّوات أوزاناً كالذي خصَّصوا به الحديثات. ويتحدَّث (سيبويه) عن مكَّونات الدَّوات، فيرى أنَّه (ليس في الدنيا اسم أقل عدداً من اسم على ثلاثة أحرف، ولكنَّهم قد يحدفون ممَّا كان على ثلاثة أحرف، وهو في الأصل له ويردُّونه في التَّحقير والجمع⁷ وإن كنا نلاحظ، زيادة في صوامت الصَّيغة على مجموع أصولها أثناء التَّحقير، والجمع مثل (رجل، رجيل، ورجال).

وقد اتَّفَق معظم اللغويين، على أنَّ أصل الصَّيغة العربيَّة ثلاثي؛ حرف يبتدأ به، وحرف تحشى به الكلمة، وحرف يوقف عليه⁸ ومن آراء المحدثين حول أبنية الأسماء أنَّ الأصل الثلاثي، هو النَّواة الأساسيَّة وإن وجدت آراء تخالف هذا الرَّأي؛ فإنَّ الأغلبية تجمع على ثلاثيَّة أصول المباني الإفرادية. مع اختلاف الآراء والتوجهات⁹ وجاء في (متن الشَّافية) عن أبنية الاسم

الثلاثي أنه للاسم الثلاثي الجَرَّد عشرة أبنية، والقسمة تقتضي اثني عشر، سقط منها فِعْلٌ وفِعْلٌ استتقلاً وجُعِلَ الدُّلُّ منقولاً، والحُبُّك إن ثبت فَعَلَى تداخل اللغتين في حرفي الكلمة، وهي فُلُسٌ كَتِفٌ عَضْدٌ جَبْرٌ عَنَبٌ إِبِلٌ فُقْلٌ صُرْدٌ غُنُقٌ¹⁰ وجميع ما جاء به صاحب المتن، هي أمثلة دون ذكر موازينها. مع أنَّ المباني الثلاثة الأولى معلَّلة صوتياً، فالصَّفة الأولى مضمومة البداية مكسورة الوسط، وهي مقبولة في أصلها لجيئها على هيئة الماضي المبني للمجهول، والثانية منعقدة في أصل العربيَّة لجيئها على صيغة (فِعْل) التي قال فيها سيبويه ليس في الكلام حرف أوَّلُه مكسور والثَّاني مضموم¹¹ وإن وجد في مثل (السَّنُون) فهو إمَّا شاذ أو غير عربي؛ والتَّعليل الصَّوتي لهذه الصَّيغة الصَّرْفِيَّة، أنَّ النَّاطِقَ بها ينتقل من أسفل إلى أعلى متصعداً وهو ثقيل مستقبح.

والملاحظ، أنَّه في الحديث عن الأفعال، يقول الدَّارسون (أوزان الأفعال) وحينما يتحدثون عن الأسماء يقولون (أبنية الأسماء) ولا يأتون للأسماء بأوزان ثم يقيسون عليها؛ وإنما يأتون بمواد يقيسون عليها أسماء أخرى تشبهها، وتوافقها في الوزن، أي في عدد الصَّوامت، وترتيب الصَّوائت. وما جاء به (ابن الحاجب) من أمثلة وأدرجها ضمن الأسماء، ليست كلها أسماء ذوات، بل فيها نظر؛ إذ نجد العنوان يشير إلى أبنية الأسماء، وهو في تعريفه وتمثيله لها يقحم معها الأوصاف، وكأنَّ الذَّوات لم تحقِّق له مادَّة كاملة، فلجأ إلى الأوصاف وأضافها إليها، وجعل لها عشرة أبنية، وإن كانت القسمة تقتضي اثني عشر، فقد أعطى لصامت صدر الصَّيْغة الذَّاتية ثلاثة صوائت (الفتحة والكسرة والضمة) باستثناء السكون وذلك لتعذُّر الابتداء به، ولعينها أربعة صوائت (فتحة وكسرة وضمة ثم سكون) وبإجراء عمليَّة ضرب، يكون مجموع الصَّيغ اثني عشر صيغة، تغيَّر شكلها وتشكيلها¹².

ولم يذكر (ابن الحاجب) صوائت لام الصَّيغ الذَّاتية؛ لأنَّه اعتبر اللَّام صوتاً يُوقَف عليه، فهو دائماً في الصَّيغ المذكورة منوَّن؛ ولكنَّه أهمل التَّنوين ورجَّح الجانب الصَّرفي على التَّحوي، في حين أنَّ التَّنوين هام وأساسي في الصَّيغ الذَّاتية، لأنَّه يلوَّن ويغيِّر شكل الصَّيغ ومادتها، ولتحليل

التشكيلات الصوتية للأبنية الذاتية الثلاثية، تُدرج فيما يأتي جدولاً موضحاً لها؛ بدءاً بالفتح، فالضم، والكسر، والتنوين والمكسور¹³ ثمّ السكون.

1-1: التلوينات الصوتية للاسم الثلاثي:

من أهم ما يعتري الاسم التنوين، المتفق عليه أنّ الدّوات لا يدخل السكون أواخرها، وما جاء هنا، جاء في وسط الصّيغة الحديثة، وصائت وسط الصّيغة بحاله الحديثات، وغير السّاكنات الأواسط هنا، فيها نظر عند الصّرفين العرب. وهناك قاعدة تذهب إلى أنّ: كلّ اسم ثلاثي ساكن الوسط، يجوز تحريكه، وتسكينه، ويصبح في جميع الصّيغ الذاتية الثلاثية وجهان: الحركة والسكون؛ والسكون ضرب من التّمكين.

ومن أسماء التّنوين اللاحق بالدّوات، تنوين التّمكين؛ وهو علامة للأمكن عندهم، والأخفّ عليهم، وتركه علامة لما يستثقلون¹⁴ وإذا شاع التّنوين هنا، فمعناه غلبة الحفّة على الثّقل، وإذا قلنا بهذا، يكون قد انتفى عن السكون صفة الحفّة الموصوف بها عند معظم اللغويين، وهذه نظرة جديدة في كميات الصّوائت ووظائفها، بل وحتى في تصنيفها. ولا ننساق مع الصّوائت هنا كثيراً، لأنّ الدّوات لا تعمل فيها الصّوائت عمل الصّوامت، وإن كان للصّوائت تأثير عليها، فهو دون مكوّناتها من الصّوامت، وإذا كان التّنوين موقعه نهايات المباني الذاتية، فإنّ الصّوامت العاملة في تحديد المباني موضعها النهايات غالباً، وفي الوقف عليها بالسكون إزالة للصّائت من نهاية الصّيغة الموقوف عليها¹⁵.

وبالرجوع من جديد إلى أسماء الدّوات الوارد ذكرها من قبل، نجد أنها كلها منوّنة مصروفة فهي من المتمكّن الأمكن، وتكرّر التّنوين في جميع وديان الجدول شكلاً ونطقاً، وظهرت الثّون معبرة بغنتها عن تمكّن جميع ما ورد من الأسماء، والتنوين نون ساكنة منطوقة غير مرقونة عند اللغويين. من هنا، فهي وسط بين الصّوامت والصّوائت، أو لنقل: التّنوين هو الصّوت الذي يجمع بين الصّامت

والصائت؛ وهو علامة التمكن، ومن نظرة أخيرة للجدول، يظهر أنَّ التَّونين الذي هو صورة صوتيَّة منطوقة مرسومة، هو علامة التَّمكين. ومن بعد هذا، يأتي حديث أبنية الأسماء الرباعيَّة.

2- أوزان الاسم الرباعي :

للصَّيغ الصَّرْفِيَّة الإفرادِيَّة الدَّاتِيَّة الرباعيَّة أربعة أبنية، قال فيها ابن الحاجب: وللرُّباعي خمسة: جَعْفَرٌ، زَبْرُجٌ، بُرْتُنٌ، دِرْهَمٌ، قِمَطَرٌ، وزاد الأخفش نحو جُحْدَبٌ¹⁶ وجاء صاحب هذا النّص، بأثلة للأسماء الرباعيَّة؛ أمَّا أوزانها فهي: (فَعْلَلٌ، وفَعْلِلٌ، وفُعْلَلٌ، وفُعْلِلٌ، فَعْلَلٌ + فُعْلَلٌ) وهذا الوزن الأخير، ذكره (الأخفش) وبه يكون عدد أوزان الصَّيغ الرُّباعِيَّة سِتَّة.

تكرَّرت الكسرة أربع مرَّات في الصَّيغ الآتية: (دِرْهَمٌ) في موقعيَّة البداية، ومرَّتين في (زَبْرُجٌ) حيث جاءت فاؤها ولامها الأولى مكسورتين، و(قِمَطَرٌ) كُسرت فاؤها كذلك؛ ثم تليها الضمَّة ثلاث مرَّات، في: (بُرْتُنٌ) مرَّتين وفي (جُحْدَبٌ)؛ وفاقت الفتحة مجموع صائتي الضمَّة والكسرة؛ حيث بلغ عدد الفتحات في الصَّيغ الرباعيَّة خمساً، واحتلَّت بذلك الصَّدارة، وبقي نزاع الشُّيوع بين الكسرة الدَّقِيقة الرَّقِيقة التي فاقت الضمَّة هنا، وتأخَّرت بذلك الضمَّة عنها التي يقال عنها، إنها دليل القوَّة والثَّبات في مباني الصَّيغ الصَّرْفِيَّة الإفرادِيَّة، وبخاصة الحديثة منها¹⁷.

ونخلص من ذلك، إلى أنَّ الرباعي من الصَّيغ الدَّاتِيَّة، لا بدَّ من إسكان ثاني صوامته أو ثالثها، وتعليل ذلك صوتي؛ يتمثَّل في تحقيق الانسجام والتَّوازن بين المكوَّنان، وتحقيق تكامل نطق الصَّيغة، الذي يحصل بالزيادة أو النقصان. والملاحظ، أنَّ هذه الأوزان تعدَّدت أشكالها؛ لاختلاف صوائت صوامتها. وما يلفت الانتباه فيها، أنَّ فاءها غلب عليها صائت الكسرة. من بعد الفتحة الحيادية الشائعة في غالب الأحوال. لأنَّ كمية الكسرة في حدِّ ذاتها، أقوى من غيرها، كما أنَّ كثيراً من الصَّيغ تمال عند النطق بها نحو الكسر¹⁸ ليتبن ذلك وجب تحليل التَّشكيلات الصَّوتية للصَّيغ الدَّاتِيَّة الرباعيَّة التي يغلب عليها التَّونين أين تظهر أهميَّة السكون من بين الصَّوائت العربيَّة؛ من

خلال ما شغله من مساحة في مجال الذوات، وفي الصيغ الخمسة الأولى كان موقع السكون منها مع الصّامت الثاني، وفي الصّيغة السادسة مع الصّامت الثالث، وسبقته الكسرة في صيغتين والضمّة كذلك، وجاء مسبوقا بالفتحة في صيغة واحدة¹⁹.

3- أوزان الاسم الخماسي:

للصّيغ الدّاتيّة الخماسيّة أربعة أبنية، ذكرها (ابن الحاجب) في قوله: (وللخماسي أربعة: سَفَرَجَلٌ، قِرْطَعٌ، جَحْمَرِشٌ، قُدْعِمِلٌ)²⁰ وإنّ حيننا صيغة (فَعْلِلٌ)²¹ التي أتت صفةً؛ لأنّه ذكر أمثلة، ولم يأت بأوزان، فقد استدرك هذا الأمر صاحب (فتح اللّطيف) وذكر الأوزان وألحقها بأمثلة، ورغم هذه الإضافة المسجّلة؛ فإنّه كان يمزج بين الذّوات والأوصاف. وذلك ما سجّلناه في حديث (ابن الحاجب) عن أبنية الصّيغ الدّاتيّة الخماسيّة، ممّا جعلها خمسة أبنية، وهي في الحقيقة أربعة للسّبب المذكور سابقاً.

وما نشير إليه، في حديثنا عن أبنية الصّيغ الدّاتيّة الرّباعيّة والخماسيّة، أنّ فيها نظراً سيما ما يتعلّق بعدد كلّ نوع، ويرى (الأستربادي) في شرحه للشّافية اعتماداً على الحساب، والتّقليبات الاشتقاقية أنّه كان ينبغي أن يكون للرّباعي خمسة وأربعون بناءً، وذلك بأن تضرب ثلاث حالات الفاء، في أربع حالات العين، فيصير اثني عشر، تضربها في أربع حالات اللّام الأولى أن يكون ثمانية وأربعين، يسقط منها ثلاثة لامتناع احتمال السّاكنين؛ وكان حقّ أبنية الخماسي أن تكون مائة وأحدًا وسبعين²² ومن هنا نقول: لو تحقّق هذا العدّ الحسابي لإثبات كلّ هذه الصّيغ، لكان شكل الصّيغ أكثر ممّا ورد سابقاً؛ ولكن ما جاء به شارح الشّافية، كان مجرّد احتمالات ولم تتحقّق استعمالاً.

وجاءت فاء هذه الصّيغ متنوّعة الصّوائت، بالفتح والضمّ والكسر، مفتوحة في (فَعْلَلٌ نحو سَمَوَلٌ) ومضمومة في (فُعْلَلٌ نحو خُرْعَبَلٌ) ومكسورة في (فِعْلَلٌ نحو قِرْطَعِبٌ)، وبالنّظر لصوائت كلّ من العين، واللّام نجد التّساوي كذلك؛ للعين فتحتان، وللّام كسرتان، مقابل سكون واحد للعين،

وغياب الضمة هنا. وفيما ذكرناه من الصَّيغ، تظهر وظيفة الصَّوت بارزة في توجيه الأداء ورفع اللبس، فقد جاءت التَّلوينات الصَّوتية مميزة لكل صيغة عن أختها، فالصَّوامت خمسة في كل بناء؛ ولكن مواقع الصَّوائت هي التي نوَّعت هذه التشكيلات وميّزت بينها.

وهناك من يرى، أنَّ أصل الصَّيغ الدَّاتية، ثلاثي أو رباعي؛ أمَّا الصَّيغ الخماسية، فهي أسماء مُعرَّبة، ولا توجد في الأصل العربي²³ ومثال ذلك: (إسماعيل، وإبراهيم، وطالوت، وجالوت) وتُوجد في الاستعمال ما يخالف هذه القاعدة، بدليل ما ذكرناه من أمثلة عن أبنية الخماسي، الذي تكون مجموع صوامته أصليَّة لا زيادة فيها، وهذا جدول تلخيصي لتشكيلات الصَّيغ الخماسية²⁴

التشكيلات الصوتية للاسم

كما ذكرت سابقا ارتبط التنوين والتمكين بالاسم، والتنوين ظاهرة إعرابية اسمية ذاتية، أي أن ما غير الاسم والمشتق منه لاينون، والخارج عن التنوين هو الفعل والحرف، ويعرف اللغويون التنوين بأنه (نون ساكنة، تلحق آخر الاسم لفظا، وتفارقه خطأ، للاستغناء عنها عند الشكل بالضبط بالقلم²⁵ و من ثم، يعد التنوين من الأصوات الفرعية التي لاتبين إلا بالمشافهة²⁶ باعتباره نونا ساكنة.

وللتنوين وظائف تختلف باختلاف موقعه في الأداء، ومن هناك انقسم إلى عدة أقسام أيضا، تجاوزت العشرة، وأشهرها أربعة وهي: (تنوين التمكين، وتنوين التنكير، وتنوين المقابلة، وتنوين العوض)²⁷ ولكل مصطلح معنى؛ وأشهرها التمكين والتنكير.

والتمكين هذا المصطلح وظفه سيبويه في الكتاب، وعلى أساسه أقام تقسيمات الأسماء، ومما جاء في كتاب سيبويه قوله: (واعلم أن النكرة أخف عليهم من المعرفة، وهي أشد تمكنا)²⁸ وقوله (واعلم أن الواحد أشد تمكنا من الجمع)²⁹ ومن هذه النظرة أيضا، قسم سيبويه الأسماء إلى ثلاثة أقسام. متمكن أمكن وهو المنصرف القابل لجميع الحركات، ومتمكن غير أمكن وهو الممنوع من الصرف الذي لايقبل الجر والتنوين. وغير المتمكن وغير الأمكن وهو الجامد الملازم لحال واحدة.

ومن هذه الرؤية، نجد الدارسين يرددون النكرات أكثر من المعارف وذلك لأنها أخف من جهة ولأن بها نغما ورنينا يحدثه النون، كما أنها أخف من المعرف لخلوها من أداة التعريف، ومن هذا جميعه علب التنكير على التعريف في فتح اللطيف فبلغ مجموع المعارف (45) صيغة في مقابل (125) صيغة منكورة خالية من أداة التعريف.

ولكن ما يلاحظ في أساسيات الأداء اللغوي العربي وتلقيده، هو جعل المؤنث ممنوعا من الصرف فلاينون ولا يجر، وإن كان من وظائف التنوين التمكين، ولم تتمكن الأنثى العربية من موقعها في الحياة الاجتماعية، فإن الجر والكسر والخفض، بكمياته ومعناه اللغوي يناسب صورتها ومكانتها، فلماذا حرمت منه؟ والجواب غير ممكن في هذا الموضوع من هذا الموضوع حاليا.

ومن الملاحظ أيضا، أنه إذا كانت الأنثى لايسمح عند ذكرها بتنوينها ولا بكسرها، وقيل إن ذلك يتماشى وحال الأنثى ووضعيتها في المجتمع العربي، فإن الظاهرة نفسها (المنع من الصرف) تنسحب على بعض الأسماء العربية المذكورة، فقد منعوا بعضها من الصرف لعلل جمعوها في تسع³⁰ ثم قسموها إلى قسمين (واحدة ترجع إلى المعنى، والأخرى ترجع إلى اللفظ، أو واحدة تقوم مقام العلتين)³¹ وتحت هذه العلل، منعوا من الصرف ما كان على وزن عمر وإسماعيل وحمزة، وهم ذكور. ولكل ممنوع علة وتعليل غير عقلاني، وألحقوا الجميع بالمؤنث الممنوع من الصرف أصلا، إلا ما كان ثلاثيا ساكن الوسط، في مثل (هند) وفي المقابل سمحوا لبعض الأسماء الأعجمية أن تصرف إذا كانت ثلاثية ساكنة الوسط، أو كانت ثلاثية معتلة الوسط، في مثل (نوح وهود ولوط) وتعليل الجميع سماعي منقول غير معقول.

ومما منعوه من الصرف أيضا، كل ما جاء على وزن مفاعل، كمساجد، ومقاعد، ومنابر، وسلاسل؛ أو على وزن مفاعيل، كمصاييح، وتلاميذ، ومفاهيم، وقوارير. ولكن هذا المنع لاينسحب على ماء جاء في القرآن الكريم على هذه الأوزان مصروفا منونا، كقوله تعالى: (إنا أعتدنا للكافرين سلاسل)³² فجاءت سلاسل منونة مصروفة، كما جاء في السورة نفسها قوله تعالى: (كانت

قواريرا، قواريرا من فضة قدروها تقديرا)"³³ بتكرار قوارير مصروفة منونة. والملاحظ هنا، أن القاعدة الصرفية غير مطردة، على ما يقول به الصرفيون ويشترطه اللغويون، واعتبروا ظاهرة صرف الممنوع من الصرف استثناء، مع أن الصرف أصل والمنع استثناء وفي تعليلاهم لهذه الظاهرة، قالوا في الممنوع من الصرف: (يجوز صرفه للضرورة، أوللتناسب، نحو (سلا سلا وأغلا لا، وقواريرا قواريرا)"³⁴ ومع هذا التعليل، يبقى الأمر غامضا لسببين: أولهما انكسار القاعدة المنظمة للممنوع من الصرف، والثاني الاستثناء عن الاستثناء، لأن الممنوع من الصرف هو استثناء للقاعدة الأصلية والخروج عنها، لأن الرجوع إلى الأصل يعتبر استثناء هنا. وآخر تساؤل، هو من المرجح للاتباع، كلام الله أم كلام البشر؟ فإذا كانت مفردتا (سلا سلا وقواريرا) جاءتا مصروفتين منونتين في القرآن الكريم، فكيف يمنعها العربي من الصرف؟ مع أن من أهم مقاصد التقعيد الحفاظ على صحة أداء القرآن في تلاوته، وأن يعد المرجع الأصلي والأساسي لكل أداء، وأن ترد لغات العرب على أهلها وتطبق أساليب القرآن وآدائه

التعليل الصوتي:

بعد هذا نعود إلى الوقوف عند ظاهرة الممنوع من الصرف وننظر إليها من وجهة نظر صوتية منطلقين مما قاله اللغويون فيها ومما قدمناه من قبل وهو يجوز صرف الممنوع من الصرف (للضرورة أوللتناسب)"³⁵ ومثلوا لذلك بقوله تعالى: سلا سلا وأغلا لا وقالوا (صرف الأول - سلا سلا - لمناسبة الثاني - أغلا لا-)"³⁶ وهنا يكمن الجواب العلمي العملي ذو المرجعية الصوتية. تردد في آثار الدارسين مفاهيم ومصطلحات سموها (نحوية وبلاغية) وأحقوها بعلم البديع، (والبديع قسمان: قسم يحسن المعنى، وقسم يحسن اللفظ، ومنه الجناس بأنواعه والسجع والتصريع والتشطير، والموازنة، والمماثلة، والقلب، والتشريع، وقد وصلت أنواع البديع في عصر الانحدار إلّا أكثر من مائة نوع)"³⁷ وهي في أصلها صوتية.

البديع علم يسعى إلى (تزيين الألفاظ أو المعاني بألوان بديعية من الجمال اللفظي أو المعنوي)³⁸ وهنا يظهر الطابع العملي لمفهوم البديع ومجالاته، وقد حصرها بعض المحدثين في خمسة أنواع جمعها تحت مفهوم التكرار قال فيها: (التكرار الذي يدخل تحت باب البديع، ويشمل خمسة أساليب هي: المذهب لكلامي، والتذييل، والعكس والتبديل، والترديد، والتعطف)³⁹ ويتضح من جميع ما سبق أن الحديث يدور حول وظائف صوتية غير مصرح بها، وأن ما يسمى في قواعد الأداء والأساليب بالتناسب، والتألف، والمقابلة، والتكرار، والرجيع، والترديد، والتجنيس، والإبدال والإعلال والقلب والإدغام جميعها ظواهر صوتية تخضع لقواعد وقوانين صوتية واضحة محددة صارمة طبقها علماء القراءات وتعامل عتوها غيرهم، فتداخلت مفاهيمهم وارتبكت أحكامهم.

العلة والتعليل:

يردد الكثير مقولة ابن جني (اللغة أصوات) ولكنهم يرددونها من أجل الحفظ والاحتفاظ بها دون توظيفها فإذا كانت اللغة أصواتاً فينبغي أن تخضع جميع قواعدها وضوابطها للمرجعيات الصوتية، وتطبق قواعد التصويت وضوابطه على مظاهر اللغة وظواهرها؛ ومن هنا، يمكن تحليل ظاهري التصريف منعاً وجوازاً. في ظل قواعد التصويت من جهة وفي علاقة قواعد التصويت بقواعد التصريف من جهة ثانية.

واللافت للنظر، أن الدارسين اللغويين يتحدثون بالصوت ولا يراعون ضوابطه، ففي قولهم: (يجوز صرف ما لا ينصرف للتناسب) فهم يعنون بالتناسب حسن العلاقات التجاوزية في المباني الإفرادية والتركيبية معاً، وينحصر رف ما لا ينصرف في قاعدة تسمى (المحاذاة) وهي مراعاة العلاقات الصوتية من موقعيات (مخارج) وكميات (صفات) ببعضها عند تجاوزها، وفي ما سبق من آيات لو طبقنا قواعد التصريف وقرأنا الآية هكذا (أنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً) لوقع تنافر صوتي بين المفردتين المتجاورتين نظراً لتفاوت قمم الزوايا الصوتية بينهما، ولوجب على القارئ أن ينزل عند

لام سلاسل ويرتفع عند لام أغلالا، وهنا يحدث ما يعرف عند البلاغيين بالتناظر الصوتي. وإشارة صاحب النص السابق في هامش الصفحة إلى أن التناسب هو (صرف غير المنصرف ليحصل التناسب وأن رعاية التناسب بين الكلمات أمر مهم)⁴⁰ فهذا التصريح بتصريف غير المنصرف مرآة لتحقيق التناسب الصوتي هو كل ما ينبغي أن راعيه اللغويون بعامة والصرفيون بخاصة لأنه ظاهرة إفرادية داخلية، أكثر منها سياقية خارجية.

خاتمة:

تتفوق الذوات الإنسانية عن غيرها من باقي الذوات، ذلك لأنها جميعا خلقت لتخدم الإنسان. والدليل على ذلك الكم الهائل من الأمثلة وفق الصيغ المذكورة كونها كانت تتوافق وما يخدم الإنسان، وهذه الصيغ الثلاثية والرابعة والخماسة وحتى السادسة، ما جاءت إلا بطابع صوتي محض. باعتباره أولى المستويات اللغوية.

المصادر المراجع :

المصحف المرتل برواية ورش.

- الأنباري- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين و البصريين والكوفيين.

- ابن جني الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى لبنان، ط 2.

- ابن جني، تصحيح و شرح: محمد سعيد بن مصطفى النعسان الحموي- التصريف المملوكي، مطبعة شركة التمدن الصناعية مصر.

- ابن الحاجب، تصحيح: عبد الرحمن خليفة - متن الشافية، مطبعة علي صبيح مصر، ط 1 .

-ابن منظور، إعداد و تصنيف: يوسف خياط- لسان العرب، دار لسان العرب بيروت.

- ألفية ابن مالك.

- تمام حسان- اللغة العربية معناها و مبناها، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء.

- خليل الأسعدي، تحقيق: الياس قبلان التركي- الكافية الكبرى في علم النحو، مطبعة دار صادر بيروت و مكتبة الرشاد استنبول، ط 1، 2007 م.

- الخليل بن احمد الفراهيدي، تحقيق: عبد الله درويش - معجم العين، مطبعة العاني بغداد ط 1، 1967 م.
- رضي الدين الأسترابادي، تحقيق: محمد نور الحسين و محمد الزفزاف و محمد محي الدين عبد الحميد- شرح الشافية. ابن الحاجب، مطبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط 1، 1975 م.
- سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون- الكتاب، مطبعة عالم الكتب بيروت لبنان، ط 1، 1966 م.
- عبد القادر عبد الجليل - علم الصرف الصوتي.
- عبد القادر عبد الجليل - علم اللسانيات الحديثة، دار صفاء للنشر والتوزيع عمان الأردن، ط 1، 2002 م.
- علي الجرم و مصطفى أمين- البلاغة الواضحة.
- عمر بن أبي حفص الزموري، إعداد: مهري المولود- فتح اللطيف في التصريف على البسط و التعريف، مطبعة ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ط 1991 م.
- لويس معلوف- المنجد في اللغة و الأدب و العلوم.
- محمد سعيد إسبر، وبلال جنيدي- معجم الشامل في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها، مطبعة العودة بيروت لبنان، ط 1، 1981 م.
- محمد محي الدين عبد الحميد- التحفة السنية بشرح الأخرومية، مطبعة الإمام مالك، 2004 م.
- محمد مرسي جهادي- مقالة التنوين.
- محمد الواسطي- ظاهرة البديع عند الشعراء المحدثين دراسة بلاغية نقدية، مطبعة دار نشر المعرفة الرباط المغرب الأقصى ط 1، 2003 م.
- مصطفى صادق الرافعي- إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، دار الكتاب العربي بيروت لبنان.
- مكّي درار- الوظائف الصوتية و الدلالية للصوائت العربية.
- مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد و توجيه، منشورات المكتبة العصرية بيروت، ط 1، 1964 م.
- مجلة الأصالة، 1967 م.
- سعاد بسناسي- التحولات المورفولوجية و التركيبية في ضوء الدراسات الصوتية.

- ¹ - معجم العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي ج 1، ص 55، تح، عبد الله درويش، مط، العاني، بغداد، ط1، (1967م).
- ² - وقد قام عبد القادر عبد الجليل، بدراسة إحصائية باستخدام الكمبيوتر، في معجمه الجيم والكمبيوتر، توصّل إلى أن: "عدد الجذور الثلاثية بلغ 2931 جذرا بنسبة 80,93%؛ والجذور الرباعية 647 بنسبة 17,97%، والجذور الخماسية 39 بنسبة 1,08%" نفسه، ص 44، بتصرف.
- ³ - لويس معلوف، المنجد في اللغة و الأدب و العلوم. ص، 240.
- ⁴ - تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها، ص، 91.
- ⁵ - ابن منظور، لسان العرب، ج، 1، ص، 212، باختصار وتصرف..
- ⁶ - الأنباري، الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين و البصريين و الكوفيين، ج1، ص، 96.97.
- ⁷ - الكتاب، سيبويه، ج 3، ص 322، س 2.
- ⁸ - معجم العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي ج 1، ص 55، تح، عبد الله درويش، مط، العاني، بغداد، ط1، (1967م).
- ⁹ - وقد قام عبد القادر عبد الجليل، بدراسة إحصائية باستخدام الكمبيوتر، في معجمه الجيم والكمبيوتر، توصّل إلى أن: "عدد الجذور الثلاثية بلغ 2931 جذرا بنسبة 80,93%؛ والجذور الرباعية 647 بنسبة 17,97%، والجذور الخماسية 39 بنسبة 1,08%" نفسه، ص 44، بتصرف.
- ¹⁰ - ابن الحاجب، متن الشافية، ج 1، ص 35. وينظر، التصريف الملوكي، ابن جني، ص 04/03، تصحيح، وشرح، محمد سعيد بن مصطفى النعسان الحموي، ط 1، مط، شركة التّمدن الصناعية، مصر.
- ¹¹ - سيبويه، الكتاب، ج 4، ص 146. س 12. وقال في موضع آخر: (ليس في الدنيا حرف أوله مكسور وثانيه مضموم).
- ¹² - التحولات المورفولوجية والتركيبية، في ضوء الدراسات الصوتية، رسالة دكتوراه، سعاد بسناسي. مخطوط.
- ¹³ - أثّرنا ذكر مجموع التّونين والمكرو: (التضعيف)، حتى يكتمل الحساب من جهة، ولأهمية التّونين كما ذكرنا من جهة أخرى، ولنا عودة إليه، من خلال تحليل مكوّنات الجدول، وكذلك أهمية السكون جعلتنا ندرجه؛ قصد تحليله. ويراجع ذلك، في التحولات المورفولوجية والتركيبية في ضوء الدراسات الصوتية، سعاد بسناسي.
- ¹⁴ - الكتاب، سيبويه، ج 1، ص 22.

- 15 - التحولات المورفولوجية والتركيبية في ضوء الدراسات الصوتية، سعاد بسناسي.
- 16 - متن الشافية، ابن الحاجب، ج 1، ص، 47. والزموري، فتح اللطيف، ص، 59.
- 17 - التحولات المورفولوجية والتركيبية في ضوء الدراسات الصوتية، سعاد بسناسي.
- 18 - الوظائف الصوتية والدالية للصوائت العربية، مكّي درار، ص، 125.
- 19 - التحولات المورفولوجية والتركيبية في ضوء الدراسات الصوتية، سعاد بسناسي.
- 20 - ابن الحاجب، متن الشافية، ج، 1، ص، 47.
- 21 - فتح اللطيف، ص، 60.
- 22 - رضي الدين الأسترأبادي، شرح الشافية، ج، 1، ص، 47.
- 23 - مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 229، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د. ت).
- 24 - التحولات المورفولوجية والتركيبية في ضوء الدراسات الصوتية، سعاد بسناسي
- 1- التحفة السنية بشرح الأجرومية محمد محيي الدين عبد الحميد، ص، 38 مط، الإمام مالك، 2004م
- 26 - سيبويه الكتاب ج، ص، 431.
- 27 - محمد مرسى جهادي، مقالة التنوين ص، 37.
- 28 - سيبويه، الكتاب، ج، 1، ص، 22.
- 29 - سيبويه، الكتاب، ج، 1، ص، 22.
- 30 - نظم هذه العلل التسع حسن الأشعري المعروف بالأسردي، في خمسة أبيات، ينظر الكافية الكبرى في علم النحو، تح، إلياس قبلان التركي، ص، 36، مط، دار صادر بيروت، ومكتبة الرشاد، استانبول، ط، 2007، 1م
- 31 - محمد محيي الدين عبد الحميد، التحفة السنية بشرح الأجرومية، ص، 80، مط، دار الإمام مالك، البليدة، ط، 1999، 1م
- 32 - الآية الرابعة من سورة الإنسان
- 33 - الآيتان الرابعة والخامسة من سورة الإنسان
- 34 - نفساهما.

- 35 - خليل الأسعدي الكافية الكبرى في علم النحو، ص، 37.
- 36 - نفسه.
- 37 - محمد سعيد إسبر وبلال جنيني، معجم الشامل في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها، ص، 245 و 246 باختصار، مط، دار العودة بيروت، لبنان، ط، 1، 1982م
- 38 - علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص، 263 باختصار.
- 39 - محمد الواسطي، ظاهرة البديع، عند الشعراء المحدثين، دراسة بلاغية نقدية، ص، 237، مط، دار نشر المعرفة، الرباط المغرب الأقصى. ط، 1، 2003م
- 40 - خليل الإسعدي، الكافية الكبرى في علم النحو، ص، 37، هامش رقم 9 باختصار وتصرف.